

معرفة
بِاللَّهِ

ALLAH
KNOWING
Knowingallah.com

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

نداء الله تعالى للمؤمنين

النداء السادس و سبعون

الأمر بالتفسيح في المجالس



علي بن نايف الشحود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النداء السادس و سبعون

الأمر بالتفسيح في المجالس

قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ
لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا
يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا
فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } (١١)



رُوِيَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي مَجَالِسِ الذُّكْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ
 كَانُوا إِذَا رَأَوْا أَحَدَهُمْ مُقْبِلًا ضُنُّوا بِمَجَالِسِهِمْ عِنْدَ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَمَرَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ يُفْسَخَ
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ . وَقِيلَ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ،
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصُّفَّةِ ، وَفِي
 الْمَكَانِ ضَيْقٍ . وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْرِهُمُ
 أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، فَجَاءَ أَنْاسٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ،
 وَقَدْ سَبَقَهُمْ غَيْرُهُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ ، فَقَامُوا حِيَالَ رَسُولِ
 اللَّهِ ، فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ،
 فَزَدَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ . ثُمَّ سَلَّمُوا عَلَى الْقَوْمِ بَعْدَ ذَلِكَ ،
 فَقَامُوا حِيَالَ الرَّسُولِ ، فَلَمْ يُفْسَخْ لَهُمْ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنَ
 الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَدْرٍ : قُمْ يَا فُلَانُ وَأَنْتَ يَا
 فُلَانُ ... فَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُهُمْ بَعْدَةَ النَّفْرِ الَّذِينَ هُمْ قِيَامٌ بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ .
 وَعَرَفَ النَّبِيُّ الْكَرَاهَةَ فِي وُجُوهِهِمْ . وَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ ،
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : **رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا يُفْسَخُ لِأَخِيهِ ، فَجَعَلُوا**
يَقَوْمُونَ بَعْدَ ذَلِكَ سِرَاعًا فَيُفْسَخُ الْقَوْمُ لِإِخْوَانِهِمْ .

وَيُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَوَسَّعُوا فِي
 الْمَجَالِسِ : مَجَالِسِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَوْ فِي مَجَالِسِ الْقِتَالِ ،
 فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ فِي مَنَازِلِكُمْ فِي الْجَنَّةِ ، وَإِذَا دُعِيتُمْ
 إِلَى الْقِيَامِ مِنْ مَجْلِسِ رَسُولِ اللَّهِ فَاقْوَمُوا (انشُرُوا) ، لِأَنَّ



الرَّسُولَ كَانَ يُؤْتِرُ الْإِنْفِرَادَ لِتَدْبِيرِ شُؤُونِ الْمُؤْمِنِينَ .

(وَلَا يَنْبَغِي لِقَادِمٍ أَنْ يُقِيمَ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ لِيَجْلِسَ
مَكَانَهُ) . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ : " لَا يُقِمُ الرَّجُلُ مِنْ
مَجْلِسِهِ ، وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا " (الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ) .

فَإِذَا انْفَسَحَ الْمُؤْمِنُونَ وَنَشَرُوا ، امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ،
فَإِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُهُمْ ، وَيَرْفَعُ الْعَالَمِينَ مِنْهُمْ خَاصَّةً ، دَرَجَاتٍ
كَثِيرَةً فِي الثُّوَابِ وَالْمَنْزِلَةِ ، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ ، لَا
تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ .

ويظهر من بعض الروايات التي حكى سبب نزول الآية أن
لها علاقة واقعية بالمنافقين ، مما يجعل بينها وبين
الآيات قبلها أكثر من ارتباط واحد في السياق .

قال قتادة : نزلت هذه الآية في مجالس الذكر ، وذلك أنهم
كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلاً ضنوا بمجالستهم عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم الله تعالى أن يفسح
بعضهم لبعض .

وقال مقاتل بن حيان : أنزلت هذه الآية يوم الجمعة . وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ في الصفة ، وفي
المكان ضيق . وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار .
فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا



حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : السلام عليكم أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، فرد النبي صلى الله عليه وسلم عليهم . ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم . فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يحملهم على القيام ، فلم يفسح لهم . . فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر : « قم يا فلان . وأنت يا فلان » فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر . فشق ذلك على من أقيم من مجلسه ، وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم . فقال المنافقون : أستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس؟ والله ما رأيناه قد عدل على هؤلاء! إن قوماً أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم ، فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه . . فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رحم الله رجلاً يفسح لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعاً ، فيفسح القوم لإخوانهم . ونزلت هذه الآية يوم الجمعة

وإذا صحت هذه الرواية فإنها لا تتنافى مع الأحاديث الأخرى التي تنهى عن أن يقيم الرجل الرجل من مكانه ليجلس فيه . كما جاء في الصحيحين : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » .





وما ورد كذلك من ضرورة استقرار القادم حيث انتهى به المجلس . فلا يتخطى رقاب الناس ليأخذ مكاناً في الصدر!

فالآية تحض على الإفساح للقادم ليجلس ، كما تحض على إطاعة الأمر إذا قيل لجالس أن يرفع فيرفع . وهذا الأمر يجيء من القائد المسئول عن تنظيم الجماعة.

لا من القادم .

والغرض هو إيجاد الفسحة في النفس قبل إيجاد الفسحة في المكان . ومتى رحب القلب اتسع وتسامح ، واستقبل الجالس إخوانه بالحب والسماحة ، فأفسح لهم في المكان عن رضى وارتياح ، فأما إذا رأى القائد أن هناك اعتباراً من الاعتبارات يقتضي إخلاء المكان فالطاعة يجب أن ترعى عن طواعية نفس ورضى خاطر وطمأنينة بال . مع بقاء القواعد الكلية مرعية كذلك ، من عدم تخطي الرقاب أو إقامة الرجل للرجل ليأخذ مكانه . وإنما هي السماحة والنظام يقررهما الإسلام . والأدب الواجب في كل حال .

وعلى طريقة القرآن في استجاشة الشعور عند كل تكليف ، فإنه يعد المفسحين في المجالس بفسحة من الله لهم وسعة : { **فافسحوا يفسح الله لكم** } . . ويعد الناشزين الذين يرفعون من المكان ويخلونه عن طاعة لأمر الرسول





برفعة في المقام : { وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات } .. وذلك جزاء
تواضعهم وقيامهم عند تلقي الأمر بالقيام .

وقد كانت المناسبة مناسبة قرب من الرسول صلى الله
عليه وسلم لتلقي العلم في مجلسه . فالآية تعلمهم :
أن الإيمان الذي يدفع إلى فسحة الصدر وطاعة الأمر ،
والعلم الذي يهذب القلب فيتسع ويطيع؛ يؤديان إلى
الرفعة عند الله درجات . وفي هذا مقابل لرفعة المكان
الذي تطوعوا بتركه ورفعوا عنه لاعتبار رآه الرسول صلى
الله عليه وسلم { والله بما تعملون خبير } .. فهو يجزي به
عن علم ومعرفة بحقيقة ما تعملون ، وبما وراءه من
شعور مكنون .

وهكذا يتولى القرآن تربية النفوس وتهذيبها ، وتعليمها
الفسحة والسماحة والطاعة بأسلوب التشويق
والاستجاشة . فالدين ليس بالتكاليف الحرفية ، ولكنه
تحول في الشعور ، وحساسية في الضمير ..





يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
نداءُ اللهِ تعالى للمؤمنينَ

النداء السادس و سبعون

علي بن نايف الشحود